

الدرس 6: تونس في العشرينات

تمهيد إشكالي

مثّلت العشرينات منعطفاً للحركة الوطنية: أثقلت الحرب المجتمع، فيما وسّعت التحولات الدولية أفق التحرر. وبرز الحزب الحر الدستوري ثم الجامعة العامة للعمال التونسيين بمطالب سياسية واجتماعية. إلى أي حد نجح التنظيمان في مواجهة الحماية، ولماذا تعثر إنجاز مطالبهما؟

1. ظروف تشكّل الحركة الوطنية بعد الحرب

أ. عوامل داخلية: آثار الحرب وتفاقم التفاوت

أرهقت الحرب تونس بشرياً واقتصادياً: جُنّد نحو 80 ألف تونسي بين 1914 و1919، وقُتل أو فُقد قرابة 15 ألفاً، وجُرح 8–10 آلاف، كما أُرسل نحو 30 ألف عامل إلى فرنسا. وبعدها وُجّه الاقتصاد لخدمة فرنسا، ووسّع المعمّرون استغلال الأراضي، فيما نافست السلع المستوردة الحرف والتجارة التونسية.

عمّق **قانون الثلث الاستعماري** لسنة 1919 التمييز في الوظائف والأجور؛ إذ منح الموظفين الفرنسيين في تونس زيادة بلغت ثلث رواتب نظرائهم في فرنسا، وأضعف فرص التونسيين في الإدارة. وتزامنت هذه السياسة مع الجفاف بين 1919 و1924، وتراجع المحاصيل والقدرة الشرائية، وارتفاع أسعار المواد الأساسية. سجّل مؤشر كلفة العيش ارتفاعاً حاداً بين

1914 و1920، واندلعت احتجاجات في العاصمة يوم 5 أوت 1920 ضد الغلاء. كما زادت الحماية الضرائب القديمة واستحدثت ضرائب على الماشية والأرباح لتغطية القروض والنفقات؛ فصارت الأزمة المعيشية دافعاً إلى الاحتجاج، لا مجرد خلفية له.

ب. عوامل خارجية: اتساع أفق التحرر

أثارت مبادئ ولسن لتقرير المصير آمال الوطنيين، رغم انتقائية تطبيقها. وقدمت الثورة البلشفية (1917) والأممية الشيوعية خطاباً مناهضاً للاستعمار، وتابعت الصحافة الحركة التركية بقيادة مصطفى كمال. كما أثرت ثورة مصر (1919) واستقلالها (1922) في تنامي الوعي.

2. الحزب الحر الدستوري: من المطالبة إلى التنظيم

أ. التأسيس والقيادة

ظهر **الحزب التونسي** سنة 1919، ثم عُرف بالحزب الحر الدستوري التونسي. كان الشيخ **عبد العزيز الثعالبي** أبرز قادته، وشاركه محامون وصحفيون وأطباء، منهم **أحمد الصافي** و**حسن القلاتي**. وقد عبّر تأسيسه عن انتقال الحركة من مبادرات نخبوية متفرقة إلى تنظيم سياسي ذي برنامج، وإن بقيت بنيته أقرب إلى حركة نخبوية منها إلى حزب جماهيري واسع.

أصدر الثعالبي في باريس سنة 1920 كتاب **«تونس الشهيدة»**، مستنداً إلى دراسات وتقارير لتعريف الرأي العام الفرنسي بقضية تونس ومظالم الحماية، وربطها بمطلب دستوري ومشاركة التونسيين في إدارة شؤونهم.

ب. المطالب والوسائل

طالب البرنامج بالحريات والمساواة أمام القانون وفي الوظائف، وإصلاح الإدارة، والتعليم العمومي بالعربية، وحرية الصحافة والتنظيم، وقضاء مستقل، وبلديات منتخبة وحقوق في الأراضي. ودعا إلى فصل السلطات ومسؤولية الحكومة أمام مجلس تشريعي منتخب، مع بقاء الشؤون الخارجية بيد فرنسا وفق معاهدة باردو. أراد الوطنيون تقييد الحكم الاستعماري بمؤسسات لا الاكتفاء بتحسين إداري.

اعتمد الحزب العرائض والصحافة والوفود إلى الباي وباريس. وفي جوان 1920 عُدّل البرنامج باتجاه الحكم الذاتي والإصلاح ضمن الحماية؛ وهو تكتيك مرحلي لا إلغاء للهدف الوطني، إذ بقيت السيادة الداخلية موضع النزاع.

ج. الوفود والأزمات من 1920 إلى 1926

في **18 جوان 1920** توجّه وفد الأربعين إلى الباي، وقصد وفد دستوري باريس. قاومت فرنسا دستوراً يحد سلطاتها، وعمّقت الخلافات انقسام الحركة؛ فتأسس الحزب الإصلاحي بقيادة حسن القلاتي ومحمد نعمان في **16 فيفري 1922**، وظل تأثيره محدوداً.

أقرت الحماية في **جويلية 1922** مجالس استشارية، منها المجلس الكبير بقسميه، لكن التمثيل التونسي كان محدوداً بلا سلطة تشريعية فعلية؛ فرفضها الدستوريون، واتسعت عزلتهم بعد انتقال الثعالبي إلى المشرق سنة 1923. وفي **1924** قصد وفد ثالث باريس برئاسة أحمد الصافي، من دون نتيجة جوهرية. ثم قيّدت **الأوامر الزجرية في 29 جانفي 1926** الصحافة والعمل الوطني. واجه الحزب إذاً القمع والانقسام وموازين استعمارية مختلة.

3. الجامعة العامة للعمال التونسيين: بروز النضال الاجتماعي

أ. أزمة 1924 وتأسيس التنظيم

تضرر العمال من البطالة والغلاء وانخفاض الأجور والتمييز عن الأوروبيين. وبين 1920 و1924 أضر الجفاف بالمحاصيل والقدرة الشرائية، ورفض **الاتحاد العام للنقابات الفرنسية** المساواة في الأجور. دفعت هذه الظروف إلى تنظيم مستقل، وربطت المطلب الاجتماعي بمقاومة الاستعمار.

بدأ إضراب عمال الرصيف بتونس في **13 أوت 1924** مطالباً بتحسين الأجر وبدلات الليل والأعياد ويوم من ثماني ساعات. امتدت التحركات إلى بنزرت والنقل والسكك والنسيج والحبوب؛ واعتُقل **محمد علي الحامي** في 11 سبتمبر. عززت الإضرابات فكرة النقابة المستقلة.

ب. التأسيس والمواجهة

تأسست **الجامعة العامة للعمال التونسيين** في 3 ديسمبر 1924، وانتُخب محمد علي الحامي كاتباً عاماً، وشارك **الطاهر الحداد** في العمل النقابي والفكري. جمعت عمال قطاعات مختلفة للدفاع عن مطالبهم، وضمت نحو ستة آلاف منخرط وفق الكتاب.

عارض الاتحاد الفرنسي استقلال الجامعة، وخشيت الحماية قوتها الشعبية، واستُخدمت اتهامات الشيوعية لتبرير القمع. حوكم الحامي سنة 1925 بتهمة التآمر وحُكم بنفيه عشر سنوات، فضعفت الجامعة؛ لكنها أرسَت تقليداً نقابياً وأثبتت صلة النضال الاجتماعي بالحركة الوطنية.

4. خلاصة تحليلية

تفاعلت أزمة المعيشة مع التنظيم الدستوري والنقابي، فتعددت أشكال النضال واشتدت مقاومة الحماية. لم يتحقق الاستقلال فوراً، لكن الوعي والخبرة والتنظيم تراكمت ومهّدت لنضال الثلاثينات.

تمرين 1: موضوع مقالي

الموضوع: «أسهمت ظروف ما بعد الحرب العالمية الأولى في تونس في بروز حركة وطنية منظمة، غير أن الحماية حالت دون تحقيق مطالبها في العشرينات». ناقش هذه الفكرة، مبرزاً تنوع المطالب والوسائل وحدود النتائج.

الإصلاح النموذجي والمنهجية

التقديم: نؤطر الموضوع زمنياً بما بعد الحرب العالمية الأولى والعشرينات، ونحدد المجال بتونس الخاضعة للحماية الفرنسية. نعرّف الحركة الوطنية بأنها جهود منظمة للدفاع عن الحقوق والسيادة، ثم نطرح الإشكال: كيف مهّدت الظروف لبروزها، وما الذي حققته وما حدودها؟

الجوهر والاستدلال: أفرزت الحرب والاستغلال والتمييز والغلاء والجفاف دوافع الاحتجاج، وعززت مبادئ تقرير المصير والثورات الروسية والمصرية والحركة التركية أفق التحرر. سياسياً، نظم الحزب الحر الدستوري منذ 1919 المطالب الدستورية عبر «تونس الشهيدة» والصحافة والوفود، ومنها وفد الأربعين (1920) والوفد الثالث (1924). واجتماعياً، حوّلت إضرابات 1924 المطالب العمالية إلى تنظيم نقابي مستقل. لكن إصلاحات 1922 كانت محدودة، وعطّل القمع والانقسام والرقابة المطالب، كما أضعف نفي الحامي الجامعة.

الخاتمة: نستنتج أن العشرينات كانت مرحلة تأسيس وتنظيم أكثر منها مرحلة تحقيق للمطالب. فشل انتزاع الحقوق فوراً لا يعني انعدام النتائج؛ إذ توسع الوعي، وظهرت مؤسسات سياسية ونقابية مهدت لنضال لاحق. في المقال، اربط كل عامل بنتيجته، واستشهد بتاريخ أو اسم لكل محور، وتجنب سرد الوقائع دون تفسير.

تمرين 2: تحليل نص تاريخي

الوثيقة التعليمية الآتية صياغة مركبة أصلية لأغراض التدريب، وليست اقتباساً من شخص أو مصدر تاريخي:

«أظهر تتابع الأزمات الاقتصادية والتمييز في الإدارة والعمل أن مطالب التونسيين لا تنحصر في تخفيف الأعباء اليومية. فقد دعا الوطنيون إلى مؤسسات تمثيلية وحريات تضمن مشاركة السكان، بينما اتجه العمال إلى تأسيس تنظيم مستقل بعد أن لم يجدوا في النقابات القائمة دفاعاً كافياً عن المساواة. واجهت السلطتان السياسية والنقابية هذه المبادرات بالرفض والرقابة والمحاكمات، فتعثر إنجاز المطالب، لكن التنظيمين وسّعا دائرة الوعي والعمل الجماعي».

الأسئلة: 1) استخرج من النص مجالَي المطالب والتنظيم. 2) اربط الأزمة الاجتماعية بأمثلة من الدرس. 3) بيّن وسائل الحزب الحر الدستوري والجامعة، وقارن بينهما. 4) فسّر كيف تعثر تحقيق المطالب، ووازن ذلك بحصيلة العشرينات.

الإصلاح النموذجي

1. تتوزع المطالب بين الدستور والحريات والمشاركة من جهة، والمساواة العمالية من جهة أخرى؛ والتنظيمان هما الحزب والجامعة.
2. الجفاف والغلاء وتراجع القدرة الشرائية والتمييز غذّت الاحتجاج؛ من أمثلتها مظاهرة 5 أوت 1920 وإضرابات 1924. اربط الفكرة بدليل محدد.
3. استخدم الحزب العرائض والصحافة والوفود لعرض برنامج سياسي؛ أما الجامعة فاعتمدت الإضراب والتنظيم للدفاع عن العمال. اختلف مجال العمل واتحد هدف التعبئة ومقاومة الحماية.
4. عطّل المطالب رفض تقاسم السلطة، ومحدودية إصلاح 1922، والانقسام والرقابة والقمع، ومنه نفي الحامي. ومع ذلك وسّع التنظيمان الوعي والخبرة. منهجياً، استخرج الأفكار، فسّرها بمعارف الدرس، ثم قيّم الحصيلة؛ والنص مركب لا ينسب لمؤلف تاريخي.

كلمات مفتاحية

- **الحماية:** نظام فرضته فرنسا على تونس منذ معاهدة باردو (12 ماي 1881)، واحتفظت بموجبه بنفوذ حاسم في الشؤون الخارجية والإدارة.

- **قانون الثلث الاستعماري:** إجراء سنة 1919 رفع أجور الموظفين الفرنسيين في تونس بثلث مقارنة بنظرائهم في فرنسا، وعمّق التفاوت.
- **مبادئ ولسن:** مبادئ ارتبطت بحق الشعوب في تقرير مصيرها؛ استلهمها الوطنيون، لكن تطبيقها لم يشمل الشعوب المستعمَرة.
- **الحزب الحر الدستوري التونسي:** تنظيم سياسي تأسس سنة 1919، طالب بإصلاح دستوري ومشاركة التونسيين في إدارة شؤونهم.
- **«تونس الشهيدة»:** كتاب أصدره عبد العزيز الثعالبي في باريس سنة 1920 لعرض قضية تونس ومظالم الحماية.
- **الجامعة العامة للعمال التونسيين:** تنظيم نقابي مستقل تأسس في 3 ديسمبر 1924، ارتبط بمحمد علي الحامي والطاهر الحداد.
- **الإضراب:** توقف جماعي عن العمل للضغط من أجل مطالب؛ صار في 1924 أداة للدفاع عن الأجر وتحسين ظروف العمل.

نصائح امتحانية عملية

- ثبّت التسلسل: 1919 الحزب؛ 1920 الوفد والكتاب والاحتجاج؛ 1922 إصلاح محدود؛ 1924 وفد وإضرابات وجامعة؛ 1925 نفي الحامي؛ 1926 أوامر زجرية.
- اربط العامل بنتيجته، ولا تخلط بين إصلاحات 1922 والدستور الفعلي، أو بين استقلال النقابة والاستقلال السياسي.
- في الوثيقة: قدّمها، استخرج الفكرة، واستدل من الدرس. وفي المقال: فكرة ودليل وتفسير في كل فقرة، ثم قيّم حدود النتائج ومكاسب التنظيم.

ملخص مراجعة سريع

تضافرت آثار الحرب والاستغلال الاستعماري والتمييز والجفاف والغلاء مع مؤثرات التحرر الدولية، فتعزز الوعي الوطني. أسس عبد العزيز الثعالبي ورفاقه الحزب الحر الدستوري سنة 1919، وطرحوا برنامجاً دستورياً وروّجوا له بالكتاب والصحافة والوفود؛ لكن إصلاحات 1922 بقيت محدودة، وتزايد القمع حتى أوامر 1926. وفي سياق الأزمة العمالية وإضرابات 1924 تأسست الجامعة العامة للعمال التونسيين بقيادة محمد علي الحامي، ثم قُمعت ونُفي قائدها سنة 1925. لم تتحقق المطالب سريعاً، لكن التنظيم السياسي والنقابي أرسى قواعد النضال الوطني اللاحق.

المصدر

كتاب التاريخ للسنة الرابعة ثانوي، شعبة الآداب والاقتصاد والتصرف، الدرس السادس «تونس في العشرينات»، الصفحات المطبوعة **98–115**. جرى تحديد النطاق من عنوان الدرس في ص98 إلى الخلاصة في ص115؛ وصيغ هذا المحتوى والتمارين بأسلوب أصلي.



مشهد تاريخي مُعاد تمثيله بصرياً لأغراض تعليمية، وليس تسجيلاً فوتوغرافياً أصلياً.



إعادة تمثيل تاريخية تعليمية مولّدة للسياق، وليست صورة أرشيفية.